

## ما الذى يمكن فعله فى العراق ؟

بقلم: مارك رويل غيريشت

معهد المشاريع الأمريكية - ٢٦/٤/٢٠٠٤

## عراق ما بعد صدام : عامل الشيعة

بقلم : أماتزيا بارام . زميل زائر

مركز سابان لسياسة الشرق الأوسط - ٣٠/٤/٢٠٠٣

ترجمة : مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الإستراتيجية

## بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة العدد:

في هذا العدد قام المركز بترجمة دراستين مهمتين حول الأوضاع في العراق. الأولى منشورة من قبل **معهد المشاريع الأميركية**، الذي يعتبر منبراً أساسياً من منابر تيار المحافظين الجدد الحاكم الآن في الولايات المتحدة والذي سيركز عليه مركزنا كثيراً لأنه قريباً جداً من صناع القرار في هذا البلد. وسنلاحظ بالتدريج بأن دراسات هذا المركز سرعان ما تتحول الى سياسة تتبناها الحكومة الأميركية، كسياسة تبني ودعم السيد السيستاني لمواجهة التيار الصدري المتطرف و مواجهة تيار ولاية الفقيه في ايران، وكذلك سياسة تبني الخط الديني مقابل التيار العلماني الذي يتبناه **برنارد لويس** كما ورد في أعداد سابقة من إصدارات مركز الكاشف.

كاتب هذه الدراسة هو **مارك رويل غريشت** الذي سبق وأن ورد إسمه في أعداد سابقة من إصداراتنا وقد أوردنا فيما يلي ترجمة حياته كما وردت في موقع المعهد المذكور، وهو من الخبراء في المنطقة ويتردد عليها وعلى العراق بكثرة، وهو من الداعمين وبقوة لدعم الشيعة والسيد السيستاني والإسلاميين المعتدلين في مقابل المتطرفين في العراق، كما يظهر وبوضوح وباستمرار في كتاباته ودراساته، ومن دراساته المهمة: **المفارقة الإسلامية** والتي ستنشر ترجمتها كاملة من قبل مركز الكاشف قريباً بإذن الله، لما لها من أهمية كبيرة تسلط الضوء الكاشف على جوانب كثيرة من السياسة الأميركية في العراق.

وأوردنا فيما يلي معلومات مركزة عن المعهد المذكور كما وردت في الموقع الإلكتروني لوزارة الخارجية الأميركية، لكي نسلط بعض الضوء على هذا المعهد المهم والمؤثر على صناع القرار الذين كان بعضهم عضواً فيه سابقاً.

والدراسة الثانية فهي منشورة من قبل **مركز ساپان لسياسة الشرق الأوسط** والتابع لمعهد بروكينز (**BROOKINGS**) الأميركي. وقد أوردنا معلومات تعريفية مركزة حول هذا المعهد لتبيان موقعه وأهميته في خارطة مراكز الأبحاث الكثيرة. ويرأس هذا المركز **مارتن أندك** السفير الأميركي السابق لدى الكيان الصهيوني والخبير في شؤون الشرق الأوسط. ويلاحظ إن تاريخ نشر هذه الدراسة قديم بعض الشيء وهو عدة أيام بعد سقوط النظام، ولكن هذا لا يقلل من أهميتها وضرورة التأمل فيها وفي دقة المعلومات الواردة فيها ومعرفة كيف ينظرون إلينا ويفهمونا وكيف يحلون أحداثنا ووقائعنا.

## معهد أميركان إنتربرايز

[\(http://www.aei.org/\)](http://www.aei.org/)

المهمة : يكرس معهد أميركان إنتربرايز لأبحاث السياسة الخارجية، الذي تأسس سنة ١٩٤٣، جهوده للمحافظة على وتعزيز أسس الحرية - حكومة محددة السلطات، ومؤسسات أعمال خاصة، ومؤسسات ثقافية وسياسية حيوية، وسياسة خارجية ودفاع قومي قويين - وذلك من خلال الأبحاث العلمية، والنقاش المفتوح، وإصدار المطبوعات. ومعهد أميركان إنتربرايز مؤسسة غير حزبية تماما، ولا تتخذ مواقف مؤسساتية حول التشريعات قيد النظر أو حول المسائل السياسية الأخرى.

الهيكلية : يحكم المعهد مجلس أمناء من ٢٤ عضوا، مؤلف من رجال أعمال ومدراء تنفيذيين ماليين مرموقين. ويقوم بمراجعة برنامج الأبحاث والتعيينات لديه مجلس من المستشارين الأكاديميين يضم مجموعة من البحاثة البارزين من خارج المعهد. ويدير الرئيس كريستوفر سي. ديموث عمليات المعهد اليومية. ويعمل في المعهد حوالي خمسين باحثة وزمبلاً مقيما، ولديه شبكة تعد في صفوفها أكثر من مئة باحث مساعد في الجامعات الأميركية ومعاهد السياسة.

التمويل :معهد أميركان إنتربرايز منظمة مستقلة لا تبغي الربح، تتلقى الدعم المالي بالدرجة الأولى من المنح والمساهمات التي تقدمها المؤسسات الوقفية، والشركات، والأفراد. وقد بلغت ميزانيته في سنة ٢٠٠٠ سبعة عشر مليون دولار.

## معهد بروكينجز: دراسة حالة

في دراسة مهمة قام بها "ستروب تالبوت" مدير معهد بروكينجز أشار فيها إلى الطريقة التي تعمل بها مراكز الفكر في الولايات المتحدة وقدم مثالا على ذلك معهد بروكينجز. في أول الدراسة يحدد تالبوت هدف المعهد وغيره من مراكز الفكر الأخرى بأنها "تزود مجتمع السياسيين بالتحليل والنتائج التي يمكن أن تستخدم كنواة لتطوير سياسات جديدة أو تعديلها أو مراجعة للسياسات القائمة". إن أحد أهم التحديات التي تواجه مراكز البحث هو تحديد بدقة، وفي مرحلة مبكرة من مراحل العمل، "الموضوعات الهامة التي سوف تواجهها أمتنا والعالم في المستقبل وأن نعمل على تسليط الضوء عليها أمام صانعي السياسات والرأي العام".

إن المواد الخام التي تعتمد عليها مراكز الفكر هي الأفكار. وهذه المراكز التي يمكن أن نطلق عليها مؤسسات بحثية تعني بالسياسيات العامة هي تقوم بتقييم واختبار مدى صحة الأفكار التي تشكل أساس السياسات، كما أنها تقوم بالعمل على تطوير أفكار يمكن علي أساسها صياغة سياسات مستقبلية. مراكز الفكر إذن يصدق عليها وصف "جيمس آلن سميث" الذي قدم العديد من المؤلفات عنها بأنها "سماسرة الأفكار".

يعد معهد بروكينجز أحد أهم وأقدم مراكز الفكر، تأسس في عام ١٩١٦ باسم معهد السياسات الحكومية من قبل عالم اللغويات "روبرت بروكينجز" الذي وجد أن الحكومة يمكن أن تستفيد من فكرة دمج الأبحاث الاقتصادية والإدارة. وكان بروكينجز يركز في البداية علي السياسات الاجتماعية والمحلية ولم يتم إضافة

الموضوعات المتعلقة بالعلاقات الدولية إلا بعد الحرب العالمية الثانية.

المعهد مقسم إلى ثلاثة أقسام بحثية: دراسات السياسة الخارجية ثم الدراسات الاقتصادية والدراسات الحكومية، ولكن تالبوت يقول بأن الخطوط في واقع الأمر تكاد تكون متداخلة، لأن المعهد كثيرا ما يتناول موضوعات تشمل النواحي الثلاث في آن واحد. كما أن الهيكل التنظيمي للمعهد بضم العديد من المراكز البحثية، مقسمة جغرافيا أو حسب الموضوع، مثل مركز دراسات الشرق الأوسط ومركز السياسات التعليمية.

غير أنه على ما يبدو، فإن وظيفة المعهد قد تغيرت بشكل جذري عما كان يفكر به مؤسس المعهد روبرت بروكينجز الذي قال ذات مرة "إن أنشطة بروكينجز لابد وأن تركز على تقديم الأفكار بدون أي غطاء أيديولوجي"، لأن المتتبع لأبحاث المركز سيجد أن ثمة توجهات أيديولوجية تحكم الطريقة التي تقدم بها الأبحاث وحتى طبيعة الموضوعات التي يتم اختيارها والأفكار التي تقدم لصانعي السياسات والرأي العام. ولا تخلو رؤية تالبوت من هذا الأمر بطبيعة الحال، إذ يعتبر أنه على مر السنوات كانت "الأفكار التي تخرج من بروكينجز تلعب دورا هاما وأساسي في التعبئة من أجل الحرب العالمية الأولى والثانية وإنشاء عملية الميزانية للحكومة الفيدرالية ونظام الخدمات المدنية، كما أنه لعب دورا هاما في تطوير ما أستخدمه علي تسميته بـ"خطة مارشال"، ليس هذا فحسب وإنما كان بروكينجز أيضا هو من أوحى بتبني سياسة العقوبات وذلك للتأثير على الدول (المارقة)، وكان وراء تأسيس مجلس الأمن القومي الأمريكي وتشكيلات الدفاع والسياسة الخارجية والالتزام الأمريكي بمساعدة الدول الفقيرة، وكذلك تطور وصياغة سياسة الولايات المتحدة تجاه روسيا بعد انهيار الأحاد السوفيتي".

ويشير تالبوت إلى أن أحداث سبتمبر كان لها تأثير ما على إحداث نوع من النقلة النوعية في الاهتمامات البحثية لبروكينجز. ومنذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر أصبحت الأبحاث أكثر تركيزا علي إنتاج أفكار وتحليلات من شأنها أن تؤدي لتطوير بل وإعادة مراجعة العلاقات بين الغرب والعالم الإسلامي وكيفية إحداث التوازن بين اليقظة ضد "الإرهاب" وبين حماية الحريات المدنية، وكذا الصراع العربي الإسرائيلي والحاجة لتبني أساليب الدبلوماسية التقليدية مع الأخذ في الإعتبار موضوع ظهور لاعبين خارج حدود الدول القومية، وكذا النقاش حول الضربات الوقائية لإجهاض التهديدات من "إرهابيين" والدول التي تساندهم وكذا تطوير إستراتيجية عالمية لعالم ما بعد الحرب الباردة ومستقبل عدم التسلح وقضية أنظمة الصواريخ الدفاعية. ويوضح تالبوت كيف أن دور مراكز الفكر قد صار مركزيا وهاما لأنها أصبحت المصدر الرئيس للمعلومات والخبرات لصانعي السياسات بل والصحفيين أيضا، ذلك أن تقاريرهم وتحليلاتهم يتم الإعتماد عليها بشكل أساسي لإرشاد أعضاء الكونجرس في رسم السياسات التشريعية وللصحفيين في كتابة تقاريرهم. وفي بحث أجري مؤخرا بين أعضاء الكونجرس والشيوخ وأيضا بين الصحفيين الذين يقومون بتغطية أخبار الكونجرس، اعتبر حوالي ٩٠% من الذي استطلعت آرائهم أن مراكز الفكر "ذات نفوذ عظيم" في الحياة السياسية الأمريكية الحالية، وكان أحد أهم نتائج الدراسة التي أجراها أندرو ريتش هي أن معهد بروكينجز اعتبر أكثر المراكز مصداقية من بين ثلاثين مركزا تم اختبارهم في البحث. ويقول تالبوت إن بروكينجز عادة ما يشار إليه باعتباره "جامعة بدون طلاب" والمعهد يتضمن حوالي ٧٥

زميلا بعضهم مندوب من جامعات وأبحاثهم عادة ما يتم مراجعتها أكاديميا.

بعض الباحثين ببروكينجز يلقبون بـ "ممارس أكاديمي" وهو لقب عادة ما يطلق على الباحثين الذين يقبلون بوظائف في الحكومة، حيث يكون بإمكانهم أن يختبروا نظرياتهم وما توصلوا إليه من إستنتاجات على أرض الواقع، ويطلق اللقب أيضا على أولئك المسؤولين السابقين الذين قدموا لبروكينجز بعد أن قضوا فترة في الوظائف العامة. وفي بروكينجز هناك أكثر من ١٢ باحث خدموا في وزارة الخارجية ومجلس الأمن الآن القومي فمارتن إنديك مدير مركز سبان لدراسات الشرق الأوسط كان يشغل منصب مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الوسط وخدم فترتين كسفير لأمريكا في إسرائيل.

ويعترف تالوت بأنه ليست كل مراكز البحث تلتزم بالقواعد الأكاديمية أو أنها "مستقلة وغير حزبية" في تحليلاتها السياسية. ذلك أن بعض مراكز الفكر تعد مسيئة، وبعضها الآخر يتبنى أجندة سياسية أو منهجا حزبيا واضحا بل وتقوم بالضغط على صانعي السياسات ويقول بأن بروكينجز معروف بتوجهه الوسطية. ولكي يقوم المعهد بنشر التحليلات السياسية والتوصيات من خلال نشر الكتب والتقارير، وحينما كان هناك إدراك بأن صناعات السياسات قد لا يكون لديهم الوقت لقراءة التقارير المطولة تم العمل على نشر ملخصات سياسية في شكل أبحاث وأوراق بحثية. وعادة ما يقوم باحثو بروكينجز بنقل تحليلاتهم واستنتاجاتهم مباشرة لصانعي السياسات من خلال الشهادات أمام الكونجرس والإستشارات الخاصة والمقابلات مع أعضاء الكونجرس والأعضاء التنفيذيين والندوات وغيرها من المناسبات العامة.

وهناك إدراك من مراكز الفكر بأن دورة التأثير لا بد وأن تتم من خلال أن صانعي السياسات يتأثرون بالرأي العام والرأي العام يتشكل من خلال التغطية الصحفية، وبالتالي فإن صانعي السياسات ومستشاريهم والرأي العام يتعرفون ويحصلون على معرفتهم بالقضايا السياسية من خلال التغطية الإعلامية، وبالتالي ليس من المستغرب أن نعرف أن معظم هؤلاء الباحثين يقضون معظم وقتهم ومجهودهم لتقديم وشرح أفكارهم من خلال وسائل الإعلام وكتابة مقالات الرأي. وللتدليل على إدراك معهد بروكينجز لأهمية وسائل الإعلام في نقل أفكار وآراء الباحثين للرأي العام، قام العام الماضي بإنشاء إستديو خاص ليتمكن باحثوه من إجراء المقابلات الصحفية. كما أن بروكينجز ينشر ما يعرف بـ "دليل وسائل الإعلام" لمساعدة الصحفيين لمعرفة المختصين في النواحي المختلفة.

وميزانية بروكينجز البحثية تبلغ قيمتها حوالي ٤٠ مليون دولار، وتأتي الأموال في معظمها من المنحة التي تركها مؤسس المعهد، كما أن هناك هبات ومنح وتبرعات من منظمات وشركات وأفراد، وهناك العائد المادي لمعهد بروكينجز للصحافة والذي يقوم بنشر حوالي ٥٠ كتابا سنويا.



مارك رويل غيريشت

زميل مقيم في معهد المشاريع الأميركية  
خبير في شؤون الشرق الأوسط، ركز منذ أحداث  
الحادي عشر من أيلول على  
إيران، العراق، وأفغانستان، بالإضافة الى قضايا  
الإرهاب والمخابرات. مؤلف كتاب: إعرف  
عدوك "رحلة جاسوس في إيران الثورية"  
(١٩٩٧)، وكتاب المفارقة الإسلامية: رجال الدين  
الشيعة والأصوليون السنة وديمقراطية العرب  
القادمة (٢٠٠٤). وهو محرر مشارك في مجلة  
الويكلي ستاندرد ومراسل مجلة آتلانتك الشهرية  
بالإضافة الى مشاركته المتكررة في الكتابة في  
صحيفة الـوول ستريت جورنال ونيويورك  
تايمز وغيرها من المطبوعات.  
السيد غيريشت شغل سابقاً منصب المدير العام  
لمبادرة الشرق الأوسط لمشروع القرن الأميركي  
الجديد وخبير شؤون الشرق الأوسط في وكالة  
المخابرات المركزية.

معلومات شخصية

الخبرة المهنية:

- المدير العام لمبادرة الشرق الأوسط ، مشروع  
نحو قرن أميركي جديد ، ٢٠٠١
- إستشاري تقييم مخاطر(الشرق الأوسط ، آسيا  
المركزية ، والإتحاد السوفييتي السابق) مؤسسة  
والسنكهام ، ١٩٩٩-٢٠٠١
- مستشار الشؤون الأفغانية ، أخبار سي بي  
أس ، ١٩٩٩-٢٠٠٠

- كاتب حر ، ١٩٩٤-٢٠٠١
- ضابط الشؤون السياسية، قسم الولايات المتحدة  
١٩٨٥-١٩٩٤،
- متخصص في شؤون الشرق الأوسط ، وكالة  
المخابرات المركزية ، ١٩٨٥-١٩٩٤
- الشهادات الأكاديمية:

- ماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة  
برينستون
- الجامعة الأميركية في القاهرة وجامعة القاهرة
- جامعة أدنبرغ ، معهد مويرل للدراسات  
الإسلامية
- بكالوريوس تاريخ ، جامعة جونز هوبكنز
- مؤلفاته:

- مستقبل المخابرات الأميركية
- المفارقة الإسلامية

مجالات أبحاثه:

- أفغانستان
- إيران
- المخابرات
- الشرق الأوسط
- الإرهاب
- آسيا المركزية/ الإتحاد السوفييتي  
السابق

## ما الذي يمكن فعله في العراق ؟

تأليف : مارك رويل غيريشت

تأريخ النشر : الاثنين ٢٦/٤/٢٠٠٤

مقالات – The Weekly Standard

(واشنطن) – تاريخ النشر : الاثنين

٢٦/٤/٢٠٠٤

إذا، ما الذي فعله نحن في العراق؟ إن من الواضح أن إدارة بوش وفرعها البعيد والمستقل، في بعض الأحيان، سلطة الائتلاف المؤقت في بغداد، قد قلبت الموازين من خلال الأحداث. وهذه ليست المرة الأولى بالطبع. إن تفجيرات بغداد والنجف في شهر آب ٢٠٠٣ أثارت أعصاب واشنطن. ولكن ظهر أن العصيان المسلح في نيسان ٢٠٠٤ قد أربك الإدارة تماما. سواء كان الأمر متعلقاً بالعرب السنة – وخاصة أولئك الذين يهاجمون ويقاومون القوات الأميركية في الفلوجة، أو المقاتلين الشيعة التابعين لرجل الدين الشاب المتطرف مقتدى الصدر، أو آية الله العظمى علي السيستاني المناهض للتطرف، أو الأمم المتحدة أو الأوروبيون، فإن الإدارة لا تتقل بالتأكيد الانطباع بأنه بقي لديها خطة – باستثناء المواظبة على الوعد (المقنع) وانتظار تحقيق الأمل بأن مبعوث الأمم المتحدة الأخضر الإبراهيمي يمكنه أن يضع خارطة طريق جديدة لنقل السيادة في ٣٠ حزيران.

وبهذا الخصوص يبدو من المفيد التذكير بأن الأغلبية الواسعة للعراقيين ما زالت على الأرجح إلى "جانبنا" فهم يريدون حقاً انتقالاً

سلمياً وعملياً الذي يؤدي إلى عراق ديمقراطي فاعل. نظراً لكل هذا العنف والمشاكل السياسية الهائلة المترتبة عليه، فمن السهل نسيان هذه المعطيات. ليس من الصعب رؤية الرغبة في جعل الأمور تسير بصورة سهلة في أوساط الشيعة والكردي وحتى السنة. رغم أن الموعد النهائي ٣٠ حزيران قد جعل نبضات قلوب الأميركيين والعراقيين تتسارع، ما زلنا نتمتع بهامش أكبر للخطأ مما نعتقد أننا نفعل لأن هنالك القليل من العراقيين نسبياً – وهم بالطبع يمثلون القليل جداً من رجال الدين الكبار في النجف الذين يعتبرون أهم اللاعبين السياسيين في البلد – الذين يريدون إثارة البلبلة أو العودة إلى الدكتاتورية.

من غير المحتمل أن يُغفر لإدارة بوش في النهاية نظراً لارتكابها أسوأ الأخطاء والمشاكل التي كانت ستحصل عليها حتى في حالة لو لعبت سلطة الائتلاف المؤقت دوراً إيجابياً. على سبيل، كان العصيان المسلح للسنة في كل الاحتمالات أمراً حتمياً. وهكذا فسرعان ما كان رجال صدام من الوحدات العسكرية الخاصة والاستخبارات والأمن وأفراد فرقة العاصفة شبه العسكريين سيدورون حولنا، لكن هذه الجماعات كانت ستقدم إلينا في أي حال من الأحوال، وكذا الأمر بالنسبة للمقاتلين الفدائيين الجهاديين الأجانب الذين لا نية لهم في السماح بإرساء الديمقراطية بقيادة الشيعة. وإذا كانت سلطة الائتلاف المؤقت قد تبنت العقلية المناهضة للشيعة الظاهرة في التوجه الضخم واسع الإطلاع ولكن نادر الاستقراء لوزارة

الخارجية من أجل إعمار العراق، فإن الأمور في العراق كانت ستتدهور أكثر مما هي عليه الآن، أحياناً يكون التخطيط الضعيف أو عدم التخطيط أفضل من أكوام من الأفكار السيئة المتواصلة، لكن ماذا علينا أن نعمل الآن؟ لنقسّم العراق إلى طوائفه الرئيسية – السنة والشيعية والکرد وبيروقراطيو الأمم المتحدة وأوربيين وأميركان – ونعمل من خلالهم.

### السنة

ما الذي تحاول سلطة الائتلاف المؤقت أن تحققه من وراء حصار الفلوجة؟ الأمور ليست واضحة في هذه النقطة. فإذا كانت تحاول إرسال إشارة واضحة فيما يخص الأميركيين للبعثيين السابقين والأصوليين السنة (وكانت الفلوجة بونقة للحركة الوهابية في العراق) والمقاتلون الجهاديون، فإن هذا الأمر مصيره الفشل. تكفي صورة واحدة في وسائل الإعلام العربية لتعطي الانطباع المعاكس: تحدي المقيمون الشجعان في البلدة المحتلين الأميركيين بنجاح. سكان المدينة من الأجانب الشجعان نجحوا في هزيمة المحتلين الأميركيين، لقد أصبحت الفلوجة تستقطب العون، حتى العراقيين الذين يكرهون المتمردين قد يبدأون بالتحرك ضدنا لأنه يبدو أن الأميركيين متورطون في عمل عسكري لا نهاية له. إن الوطنية العراقية شيء واقعي منقلب. حتى الشيعة الذين سيثيرهم رؤية الجيش الأمريكي يضرب البعثيين السابقين والأصوليين السنة المتحصنين في البلدة (من الأفضل للأميركان أن يتعاملوا معهم الآن من

أن نضطر إلى ذلك لاحقاً) يمكن أن يبدأوا بالتحول إذا ما التزمت "الجزيرة" و "العربية" لتحيزهم الموالي لصدام على مدى سنوات سابقة، لكن الصور والأصوات المستمرة لحصار الفلوجة إلى جانب المدنيين الأبرياء يوماً بعد آخر ستبدأ بتوتير أعصاب الوطنية العراقية، قريباً قد نصبح في تلك الحالة غير السارة حيث سيبدأ أكثر حلفائنا الشيعة المخلصين بذكر أشياء طيبة حول العراقيين الذين يمقتونهم. وعلينا أن لا ننسى أن التأثير الذي أحدثه هذا على المحاربين الجهاديين السنة، أساساً. أدى ظهور التردد والضعف الأميركي إلى بروز ظاهرة (البن لادنية). إن "مقاومة" داخل العراق وخارجه تمثل نعمة إلهية للمحاربين الجهاديين مثل أبو مصعب الزرقاوي زعيم القاعدة الذي كان وراء العديد من عمليات التفجير الانتحارية.

لا تستطيع الولايات المتحدة ببساطة أن تتحمل التورط في تكتيك الحصار.

ينبغي أن نقود المفاوضات إلى التسليم الفوري للبلدة وكل من يسكن فيها – لا معنى لتسليم أسلحة المتمردين نظراً لأن الأسلحة في العراق يمكن الحصول عليها بسرعة مرة أخرى. إن أي اتفاق يترك بموجبه المتمردون أسلحتهم الثقيلة وينسحبون من البلدة بدون أي تدخل قد يسبب تفاقم الأمور. سيقود هذا الأمر إلى مجابهة أسوأ. هذا هو بالضبط ما قمنا به مع مقتدى الصدر. بعبارة أخرى، فإن الخيار الحقيقي الوحيد لجنود البحرية هو اقتحام المكان. كان يجب علينا أن نأخذ البلدة فوراً بعد مقتل (العمال – المتعاقدين) الأميركيين



الأربعة. في الحقيقة، كان ينبغي على القوات المسلحة الأميركية تطهير الفلوجة قبل شهر. إذا كان هنالك مدينة واحدة تستحق التخطيط التقليدي لمكافحة التمرد، فهي الفلوجة، لا شك أنه كان من المحتمل حصول نتائج غير سارة في العراق وفي أي مكان آخر من هجوم مباشر - لقد استنتج الأخضر الإبراهيمي بأن "العقاب الجماعي أمر مرفوض وحصار المدينة مرفوض مطلقاً" ولكن لا خيار أمامنا الآن فلا نستطيع التراجع ولا نستطيع إبقاء الحصار. عاجلاً أم آجلاً سنحتاج إلى تدعيم الخطابات المتشددة لرئيس سلطة الائتلاف المؤقت بول بريمر بالأعمال العسكرية على الأرض، من غير المحتمل أن نرجي الإبراهيمي ونخوض هذه الحرب بنجاح في المثلث السني في الوقت نفسه.

### السنة السياسية

من الواضح والمفهوم ما تحاول سلطة الائتلاف المؤقت أن تفعله يائسة من أن تدمج السنة العرب في العملية السياسية فان ذلك سيقل، من الناحية النظرية، من العنف داخل المثلث السني، من المرجح أنه قد تم التخطيط والتنفيذ لبعض الأعمال العسكرية بشكل سيء، لقتل ومضايقة العرب السنة المعتدلين الذين لم يرغبوا في وقت سابق بإلحاق الأذى بنا، إن الأعمال الأميركية القاسية والخرقاء كانت أمراً محتوماً نظراً لنوع القوات المقاتلة المنتشرة. النزعة الأميركية نحو حماية القوة، والمصادر المريبة لبعض أفراد المخابرات الأميركية (لنفكر بشأن الفساد المعروف بين أوساط السنة

في أجهزة الأمن العراقية المتشكلة بشكل سريع ثم نفكر بعد ذلك بشأن المعلومات التي أعطيت للجيش الأميركي ووكالة المخابرات المركزية، حول السنة "المعادين" من المحتمل تماماً بأننا أحياناً من غير علم مسبق قد قدمنا عرضاً للبعثيين السابقين والمقالين السنة) في محاولة لإظهار مودة أكثر للسنة، قررت إدارة بوش النقض الجزئي لقرار السفير بريمر من خلال استثناء النخبة العسكرية السنوية السابقة من الجيش العراقي الجديد. إن الإبراهيمي وهو عربي جزائري سني الذي برز في ظل حكم جنرالات الجزائر، دفعه ذلك إلى أن يعتقد أن الأميركيان قد انشغلوا في اجتناب البعث أكثر من اللازم، ووجهة النظر هذه هي سائدة في وزارة الخارجية أيضاً. والقوات النظامية في وزارة الدفاع الأميركية، وبين أوساط خبراء العراق في الجامعات ومجالس الخبراء، يجب على الإدارة أن تدرك ذلك ولكنها تلعب بالنار.

هل يدرك المجتمع الشيعي، وخاصة رجال الدين الشيعة، بأن هناك شيئاً اسمه "ضباط عسكريون جيّدون من السنة"؟ بالتأكيد بلى رغم أنهم ليسوا أكثر فقد حافظ هؤلاء في الماضي على حياة وممتلكات الشيعة. إن الشيعة يدركون جيداً الجحيم الجماعي الذي تحمله كل العراقيين تحت حكم صدام حسين، ولكن يوجد هنا خط أحمر وسيكون من الصعب جداً أن نعرف متى سنعبره، قبل فوات الأوان. وحالما نعبره فسوف لن نتمكن من التراجع لنعيد ما أصبح واضحاً منذ بدء "تمرد" مقتدى الصدر "إذا فقدنا الشيعة، فقدنا

العراق"، لنكن صادقين حول كيفية رؤية المجتمع السني للضباط والعسكريين السنة وهم يعودون إلى الجيش العراقي. من المحتمل أن يقولوا مع أنفسهم، "انظروا، سيكون لنا مكان في عراق ديمقراطي جديد" أو يعتقدوا أن لديهم فرصة لاسترداد أداة السلطة السياسية هل هذا هو الاختبار النهائي ضد حكومة ذات قيادة شيعية؟ السنة يشغلون القاسم المشترك في تاريخ العراق الحديث وقد يجادل الشيعة بأنهم القاسم المشترك في التاريخ الإسلامي، سافر إلى العراق ومن السهل عليك أن تجد السنة الذين يريدون بصدق أن يروا بلدهم ديمقراطياً. أقض بعضاً من الوقت بين النخبة من القوات العسكرية السابقة وسوف لن تخرج بنفس هذا الإحساس. علاوة على ذلك. ستحصل على انطباع بأنهم غاضبون من صدام حسين لتماديه الشديد في إفساد ما كان موجوداً من وضع ممتاز وشديد الاستقرار، من المحتمل بالطبع أن الأخلاق الديمقراطية يُمكن أن تنمو بين رجال كهؤلاء، قال السفير بريمر بأنه سيتم الاهتمام لإعادة توظيف الضباط العسكريين السابقين البعثيين الذين لهم سجلات جيدة. ولكن ما الذي يعنيه ذلك بالضبط؟ هل هذا يعني الضباط الذين انتموا إلى الحزب - والضباط "الأفضل" برتبة رائد من المحتمل أنهم عملوا ما عملوا بحماس - لكنهم لم يضرّبوا النساء والأطفال بأنفسهم أو يأمرّوا بتدمير منازل الشيعة، هل هؤلاء الجنود في وضع جيد؟ وكم عدد السنة الذين سنحتاج إلى قبولهم في الجيش الجديد لجعل السنة يحسون وكأنهم قد أخذوا حصتهم "

العادلة"؟ هل نعتقد حقاً بأن مهما كان حجم الحصة فإن ذلك كاف لتحويل معظم الراضين السنة إلى ديمقراطيين؟ إذا هناك شيء واحد سنقوم به السلطة المؤقتة في العراق، يشبه الروليت الروسية إلى حد بعيد، وهكذا هي سيكون في منتهى الحكمة للإدارة، إذا أصرت على المضي قدماً في مفهومها في "شراء السنة" للجيش العراقي، وأن تصفى المناصب العسكرية الكبيرة للعرب السنة بأخذ فئات جيدة من الشيعة وخاصة رجال الدين الكبار في النجف.

إن الخطوة الأساسية للسنة، وكذا الحال بالنسبة إلى كل العراقيين، هو الانتقال إلى الانتخابات الوطنية بأسرع ما يمكن وهكذا نتمكن نحن مع العراقيين أن نرى كم عدد السنة العرب الراغبون في زج أنفسهم في نظام ديمقراطي جديد بزعامة شيعية، يحتاج السنة إلى أن يعرفوا بأن القطار سيتترك المحطة وبأنه ليس باستطاعتهم إيقافه، التعاون العميق يكون محتملاً جداً إذا علموا أن مصالحهم كمجتمع ستتغير سريعاً وبصورة دائمة إذا توجب على الشيعة والكرديين والأميركيين أن يعمرّوا العراق بدون مساهمة مهمة للسنة.

وبالنسبة للشيعة، هناك خطة تتألف من سبعة نقاط :

١. في جميع الأوقات يعتبر آية الله العظمى السيستاني زعيماً للمجتمع الشيعي؟ حتى السيستاني ليس لديه السيطرة على الأمور - ويحاول مقتدى الصدر جاهداً أن يتحدى رجل

الدين البارز للعراق – كما يجب أن يكون، إن آية الله أهم حليف لأميركا في العراق، بغض النظر عن كون الأميركيان يرغبون في الاعتراف بذلك علنا.

٢. من المفهوم أن لدينا نطاق مناورة أوسع مع تمرد الصدر بالمقارنة مع السنة في الفلوجة، وهذا لا يعني أولاً وقبل كل شيء، عدم مهاجمة مدينة النجف المقدسة، توجد هنالك العديد من الأسباب التي يحتقر الشيعة العراقيون، السعوديين لأجلها اليوم، لكن فوق ذلك كله هنالك في الذاكرة، في المقام الأول، المقاتلون الجهاديون الوهابيون الذين حاصروا ونهبوا مدن المرافد الشيعية في العراق مراراً وتكراراً خلال القرن التاسع عشر. إذا ذهبنا إلى النجف بالفعل، فسوف نفقد آية الله العظمى السيستاني، والذي يعتبر حامياً للمدينة المقدسة، وإذا فقدناه سنفقد البلاد، من المفهوم أن هنالك بعض الأجنحة المتذبذبة التي تدعو إلى توجيه ضربة سريعة مباشرة ضد الصدر، لكن من المشكوك به أن تتمكن المخابرات الأميركية مطلقاً من توفير المعلومات المطلوبة لجعل ذلك أمراً ممكناً من الناحية التكتيكية. وكذلك من غير المحتمل أن يوافق رجال الدين الكبار في المؤسسة الدينية في النجف (الحوزة) على مثل هذه الضربة،

ولكنهم مع ذلك يمقتون الصدر، ولكن لا توجد أية مشكلة في ملاحقة رجال الصدر في أي مكان آخر في البلاد إذا قاموا بارتكاب أية أعمال عنف ضد العراقيين، والأميركيين، أو حلفائنا، وإذا قاموا بمهاجمتنا فعلياً أن نرد عليهم فوراً بالقوة الفاتلة، ولكن في النهاية، لا بد للسيستاني والحوزة أن يعالجا الصدر، نحن لا نستطيع أن نفعل ذلك بدلاً منهم، في السابق كان السيستاني يعتمد على القوات المسلحة الكبيرة في الوسط الشيعي حول النجف، وقد فعل ذلك في وقت سابق لإخافة أتباع مقتدى (الصدريون) يجب علينا نحن أن نواصل الرجاء بان يتمكن رجال الدين الكبار الذين يمقتون فكرة القتال الشيعي المميت، خصوصاً داخل النجف، من إيجاد وسيلة لتحديد الصدر طالما كان باقياً في مدينة الضريح المقدس، وإذا وافق السيستاني على إبعاد الصدر إلى إيران، فسندع المقاتلين الجهاديين الشباب يذهبون، حتى إذا لقي تشجيعاً ودعماً إيرانيين كبيرين – ومن المحتمل أنه يمتلك ذلك – فمن غير المحتمل أنه سيكون فجأة ناشطاً في إيران بنفس النشاط الذي يظهر عليه في العراق، برغم أن نظام رجال الدين في طهران لا يتمنى بلا شك الخير لأميركا، فسيحاول تخريب بناء

أي نظام ديمقراطي يدعمه رجال الدين العراقيون المعتدلون، فعلاقته مع النجف والشيعية العراقيين معقدة، لقد ملأ الزوار الإيرانيون ومن ضمنهم رجال الدين، المدن العراقية المقدسة – (العتبات) الأبواب المؤدية إلى الجنة – منذ سقوط صدام حسين. ولحد الآن ليس لدى رجال الدين الذين يحكمون إيران أية أوهم حول نفور "الحوزة" من النموذج الإيراني للحكومة الدينية ولم ينطق رجال دين العراق الأكثر كياسة بالكره الذي يبديه رجال الدين العراقيون الكبار للمرشد "الروحي" لإيران علي خامنئي الذي اكتسب سياسياً لقب "آية الله".

إن النظام في طهران لا يجب أن ينظر إليه على أنه يدعم بكل صراحة رجل دين صغير السن لم يكتسب التعليم الجيد ويتحدى كامل المؤسسة الدينية في النجف بكاملها، خامنئي والشخص الثاني في إيران علي أكبر هاشمي رفسنجاني، على إطلاع تام بالاستياء الديني في صفوفهم، فإذا تحركوا أكثر من اللازم بشكل سري في العراق، فإن النجف يمكنها، ومن المحتمل، أن تعيدهم إلى مكانهم، وربما يحدث أكثر من هذا الأمر، لكن الصدر في إيران سيسبب في الواقع المشاكل لخامنئي ورفسنجاني أكثر من قيمته، أما إذا كانوا بمستوى حماقة التي يريدونه فيها فليأخذوه.

٣. لقد أعلن بريمر، أو بشكل أدق الرئيس، بوضوح أن أميركا تتوي مساعدة الأمم المتحدة لتقديم تأريخ الانتخابات الوطنية بأسرع ما يمكن، علينا أن نصرح بصوت عالي وبشكل واضح بأننا لا نريد أن يكون اشتراك الأمم المتحدة في إعادة البناء السياسي للعراق أن يؤخر انتخابات الجمعية الدستورية أو الجمعية الوطنية يوماً واحداً.

٤. علينا أن نعلن دائماً وبصوت عالي بأننا سنعارض أية خطة للأمم المتحدة تقلل من الثقل الديمقراطي للأغلبية الشيعية في العراق، نعتقد بأنه يجب أن تكون هنالك حماية دستورية لكل العراقيين تضمن حقوقهم الفردية، لكن ليس من مصلحة الولايات المتحدة لبننة العراق إلى أقاليم دينية وعرقية، هذا يعني أنه في معظم الأمور – ما عدا تلك المذكورة بالتحديد في الدستور الجديد – أنه إذا صوّت الشيعة ككتلة فسيفوزون في الجمعية التشريعية.

٥. إذا حصل خلاف بين الإبراهيمي والسيستاني حول أية قضية تخص تمثيل الشيعة والسنة والکرد في حكومة انتقالية، فسيكون التأييد لصالح السيستاني. إذا كان هنالك بعض الأشخاص في وزارة الخارجية، وسلطة الائتلاف أو الكونغرس (نقصد هنا أعضاء مجلس الشيوخ

جوزيف بايدن وريتشارد لوغار) لديهم أية مشكلة بهذا الشأن فيجب إرسال الأقراص المدمجة CD المليئة بأناشيد الصديين – الذي يضربون صدورهم – إلى هؤلاء المحتجين، لزيادة التوضيح، يمكن تأشير الأقراص المدمجة بعبارة تقول: " إذا فقدنا السيستاني، سنفقد العراق".

٦. قانون إدارة الدولة الانتقالي قانون ميت كالمسار المثبت في الحائط، ولن نضيع وقتنا في الدفاع عنه، وعلينا أن نشجع الشيعة والكردي للجلوس ودراسة مختلف الأنظمة لحماية الحقوق الكردية بعيداً عن النقص الدستوري (فيتو) الذي يعيق، وبشكل فاعل، الأغلبية الشيعية في أية مسألة تشريعية فعلية، ونشجع الكرد والشيعة لدراسة نظام التحقق والموازنة وربما من خلال خلاص تشريعي ثنائي مما يجعل من الصعب جداً على الأغلبية أن تمارس القمع ضد المصالح الكردية.

٧. يجب أن يكرر كبار مسؤولي الولايات المتحدة وأعضاء الكونغرس مع أنفسهم في كل ليلة قبل النوم عبارات: "الجمهورية الإسلامية الإيرانية تتوي حشرنا في إن الديمقراطية المدعومة من قبل رجال الدين في العراق تكون مضرّة بالحكومة الدينية في إيران، إن النزعات داخل الشيعة؟؟ – معركة

بين ديمقراطية رجل واحد وصوت واحد والحكم الديني لإيران (ولاية الفقيه) إن التعامل مع إيران في العراق سيصبح مسألة طويلة الأمد وشديدة الصعوبة، ولحسن الحظ ستتحمل المؤسسة الدينية في النجف العبء الأكبر، لكننا يجب أن لا نعقد، حياتهم أو حياتنا بطلب إجراء مباحثات إيرانية أميركية ثنائية، بشكل سري أو علني، حول العراق تسمح بإيجاد دور رسمي لإيران في إعادة إعمار العراق، وإذا بدأ الإبراهيمي بالتحرك في هذا الاتجاه فسوف نوقفه.

#### الكرد

إن المسألة السائدة تكون في منتهى البساطة: هل الكرد يريدون العيش في عراق ديمقراطي يستطيعون فيه دائماً أن ينقضوا كل تشريع تقريباً كما يشاؤون؟ علينا أن نخبر الكرد بأننا سوف لن ندعمهم ضد الاعتراض الشيعي على السلطة الدستورية الشاملة في قانون إدارة الدولة الإنتقالي، من الأفضل لنا ولكل العراقيين أن ينتهي الكرد والشيعة من هذه المسألة عاجلاً وليس آجلاً، سيضعف وضعنا في العراق بمرور الزمن – ربما يضعف بكثير وبسرعة شديدة – وسيكون من الأفضل للكرد أن يناقشوا مع بقية العراقيين أثناء تواجدهم وتأثيرنا في الأحداث.

## الأمم المتحدة والأوروبيون

من المحتمل أن يذهب الأخضر الإبراهيمي في جولة لإنقاذ إدارة بوش قبل ٣٠ حزيران. إن تعليقه وتعليق مكتبه حول الحملة المفرطة التي يقودها الأميركيون لاجتثاث البعث وتفضيله "للتكنوقراط" على السياسيين المنتظرين في الحكومة الانتقالية قد لا يخدم قضيته بين الشيعة والكرديين، الذين يرون أن هذه لغة شخص موالى للعرب السنة. (لقد شكل العرب السنة الحجم الأكبر لشريحة التكنوقراط الكبار في ظل حكم صدام حسين) وصمت الإبراهيمي عندما كان مسؤولاً كبيراً في جامعة الدول العربية ووزيراً لخارجية الجزائر في مسألة ذبح صدام للشيعة والكرديين العراقيين بعد التمرد الكبير لعام ١٩٩١ سوف لن يحبه من الشيعة والكرديين. فلو تحدث الإبراهيمي بالوقت والمكان الذي احتج فيه على أعمال صدام، ولكن الإبراهيمي يمتلك عاملين يعملان لصالحه : موعد ٣٠ حزيران النهائي الخيالي ولكنه محتوم الآن "وتمرد" مقتدى الصدر، الذي روّع المؤسسة الشيعية التقليدية في النجف، كلا هذين العاملين قد يجعلان آية الله العظمى السيستاني أقل ميلاً نحو الديمقراطية لأجل تحقيق استقرار قصير الأمد، ولكن، السيستاني قد لا يرغب المقاومة مطلقاً على التمثيل الشيعي في الحكومة الانتقالية والدستور المؤقت إذا شعر بالتهديد من قبل الصدر، إن إدارة بوش وسلطة الائتلاف المؤقت كلاهما يشعران بالقلق بشأن العامل "السني" للإبراهيمي، يعرف الكثير في أوساط الحكومة بالتأكيد، حتى إذا كان

السيناتور بايدن لا يعرف ذلك، أن الشيعة العراقيين قد نظروا إلى الأمم المتحدة كأداة يستعملونها ضد الولايات المتحدة لتعجيل إجراء الانتخابات، فعندما لا تستطيع الأمم المتحدة تقديم المزيد للشيعة أو ربما أقل مما يستطيع أن يعرضه لهم السفير بريمر فلا ندش إذا ما تبخرت الشرعية الدولية للأمم المتحدة بين ليلة وضحاها، علينا أن ندعم جهود الإبراهيمي بشكل واضح ولكننا يجب أن نقوم بذلك فقط طالما لم يتورط مع أغلبية الشيعة، فإذا قام بذلك فسيكون من الضروري أن نرد على المبادرة، بالدعوة إلى الانتخابات التأسيسية الوطنية خلال ستة أشهر، ونسأل السيستاني – بشك مباشر على أفراد في بادئ الأمر، علناً عند الضرورة – عن يجب أن ننقل السيادة إليه في ٣٠ حزيران، علينا أن لا نتردد في نقل المسؤولية في هذا الشأن إلى آية الله العظمى، (وسنكتشف إذا كان سيأخذها).

وبشأن الأوروبيين، فلا نتوقع منهم الكثير لتأييد فكرتنا في الديمقراطية في العراق، حتى مع قرار الأمم المتحدة، إذا كان العراق يمثل بالفعل مسألة إستراتيجية لفرنسا وألمانيا أكثر جدية من سياسة الإتحاد الأوروبي الداخلي والإذلال الذي تمارسه الولايات المتحدة عالمياً فسيبتعاننا.

مع ذلك فإن مؤسسة السياسة الخارجية عبر الأطلسي في واشنطن تكره أن ترى الحقيقة أو تعترف بها، إن لدى كل من فرنسا وألمانيا الكثير لتكسبانه في أوروبا – ولذلك من وجهة نظرهما في العالم – إذا فشلت أميركا في

من أقدس مدينتين لدى الشيعة. فيها ضريح الامام علي بن أبي طالب أول أئمة الشيعة ورابع الخلفاء الراشدين في الإسلام. والشيخ الخوئي هو الابن الأكبر للمرجع الكبير آية الله أبو القاسم الخوئي – والذي كان مفكراً ومنظراً للعالم الشيعي عندما مات عام ١٩٩٢ – وكان الخوئي الابن قد عاد إلى العراق بعد ١٢ سنة قضاها في المنفى في لندن، لقد كان واحداً من أكثر رجال الدين الشيعة إعتدالاً. وقبل مقتله بقليل كان قد أعلن مساندته للتحريير الأميركي للعراق.

وكغيره من العراقيين، كان يريد من القوات الأميركية الخروج من العراق بالسرعة الممكنة ولكنه أدرك الحاجة إلى إعادة بناء نظام سياسي جديد، كما أنه رفض نظرية الحكم لآية الله الخميني – وكان الخوئي رئيساً لمؤسسة والده المرحوم التي كانت تهتم بالنشاطات الإجتماعية والثقافية في العالم الإسلامي والولايات المتحدة وأوروبا. لقد قدم مقتله الوحشي للقوى الديمقراطية في العراق دعماً مهماً وكشفاً للقوى الشريرة التي تتقاتل داخل المجتمع الشيعي في العراق.

### الضغائن تطفو على السطح

في الوقت الحاضر، ليس من الواضح من قتل الخوئي ولكن هناك على الأقل احتمالين، الإحتمال الأول المنظمة الأصولية الشيعية المتطرفة، الدعوة والمتواجدة في أوروبا وإيران والشك الثاني يقع على الملا الشاب المتطرف جداً والطموح مقتدى الصدر، وحقيقة الأمر كان عم مقتدى الصدر آية الله محمد باقر الصدر من مؤسسي حزب الدعوة

العراق، تكتيكياً، بشكل وفلسفياً، وروحياً (كانت شماتة المناهضين للأميركان هدفاً شرعياً وحقيقياً للسياسة الخارجية لكل من هذين البلدين) الفرنسيون والألمان – وهي النظام العالمي لفؤاد السيناتور جون كيري – يجدون ان هنالك الكثير من الأشياء التي سيربحونها بمشاهدتهم لإدارة بوش المهزومة انتخابياً في بلاد ما بين النهرين، ولكن إذا رغب كولن باول في نهاية المطاف أن يسافر في جميع أنحاء أوروبا للدفاع عن قضية الإلتزام الأوروبي المتزايد للجهود الأميركية – الإنكليزية في العراق، فيجب تشجيعه على القيام بذلك.

بصرف النظر عما قيل أعلاه، هناك أمران مهمان وهما : أرسلوا المزيد من القوات وكرروا عدة مرات كل يوم عبارة : "إذا فقدنا الشيعة، سنفقد العراق".

مارك رويل غيريشت – زميل مقيم في معهد المشاريع الأميركية.

الملاحظات المصدرية : تظهر هذه المقالة في ٣ آيار ٢٠٠٤ في مجلة Weekly Standard

### عراق ما بعد صدام :

#### عامل الشيعة

٣٠ نيسان ٢٠٠٣

بقلم : أماتزيا بارام . زميل زائر.

مركز سابان لسياسة الشرق الأوسط

في الثامن من نيسان، وبينما كان القتال في بغداد محتدماً قتل الشيخ عبد المجيد الخوئي في مدينة النجف المقدسة، وهي واحدة

عام ١٩٥٠ وقد أعدم من قبل صدام عام ١٩٨٠ في نفس اليوم الذي قتل فيه الخوئي، وكان أنصار الصدر قد حاصروا منزل المرجع آية الله السيستاني في النجف وطالبوا بمغادرته المدينة أو أن يقتل، مما يؤيد إدعاء أن يكون مقتدى الصدر متورط في مقتل الخوئي.

ويتمتع الصدر الشاب بالدعم الكبير بين الشباب الأصوليين المتطرفين.

إنه من المعادين للولايات المتحدة ولكل رجال الدين المعتدلين، ومن غير الواضح مدى قربته من إيران، ويبدو أنه يعتقد أن الخطب الدينية المشحونة بالتطرف والمرافقة للعنف ستؤدي به إلى قيادة المجتمع الشيعي وبالتالي كل العراق ومن المحتمل أيضاً، ان يكون الصدر والدعوة قاما معاً بتنفيذ هذا الاعتداء.

ان التناقض داخل الشيعة بين الصدر والسيستاني سابق لعملية الحرية العراقية قبل عام ١٩٩٩ وبعد الأيام الأربعة من الضربات الجوية الأمريكية والبريطانية في عملية ثعلب الصحراء بقليل بدا والد الصدر محمد صادق الصدر بالقاء الخطب ضد النظام الحاكم آنذاك في أثناء صلاة الجمعة في المسجد الكبير، لقد كان الصدر الأكبر مرجعاً دينياً للشيعة، وكان قبل ذلك يتجنب الاحتفال بنظام البعث لذا فقد حظيت خطبه ضد صدام بالدعم والمساندة الفورية من قبل الشباب الشيعي، وكانت خطبه هذه تنتشر سريعاً جداً، وكان المرجع الشيعي الكبير آية الله السيستاني قد اعترض على خطب الصدر خوفاً من أن يثير النظام

الوحي ضد المجتمع الشيعي ككل، وقد اغتيل محمد الصدر عاجلاً بعد ذلك.

وبلاشك فقد كان هذا العمل من أعمال المخابرات الصدامية الذي خشي أن يشكل الصدر وخطبه الشرارة الأولى في ثورة شيعية عامة ضد النظام، ولم تغفر عائلة الصدر وخصوصاً منها الفقيد للسيستاني معارضته السابقة تلك لذا فإن حياة السيستاني كذلك في خطر، وفي الواقع، فإن التقارير الأخيرة تشير إلى أن السيستاني قد يقود احتجاجات ضد الأميركيين في الأيام القليلة القادمة.

ومن المحتمل أن يكون القادة الإيرانيون متورطين كذلك في هذا الصراع، فالسيستاني لا يدعم تماماً آية الله خامنئي القائد الإيراني.

في عام ١٩٩٢ تنافس مع خامنئي لمركز المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية الإيرانية ويخشي الإيرانيون أن يكون ممن يدعون إلى حضور أمريكي محدود بل والأكثر أهمية العراق الديمقراطي بدلاً من الحكم الديني الذي يبحثون عنه، وعلى كل حال، فما يجعل الأمر أكثر تعقيداً هو ان الصدر وداعميه أيضاً ضد آية الله محمد باقر الحكيم ومجلسه المدعوم من إيران المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق.

عام ١٩٩٩ وفي أعقاب اغتيال الصدر الأب، هاجم اتباع الصدر في إيران الحكيم خلال خطبة الجمعة لأنه هو أيضاً تجرأ على انتقاد الصدر.

وفي المذهب الشيعي الإسلامي يكون اعتماد رجال الدين، تقليدياً، أقل بكثير من



اعتماد رجال الدين السنة على الحكومة المركزية في حياتهم اليومية وتمويلهم المالي، فكل شيعي متدين عليه إتباع مرجع ديني قائد (مقلد) ويعطيه نسبة معينة من دخله أو دخلها إلى مرجعه، إن المنافسة بين رجال الدين الكبار على الاتباع ومن ثم على التقليد والمصادر المالية كانت قوية نوعاً ما.

وكنتيجة لذلك فإن عودة الخوئي - مع كل ما لعائلته من سمعة طيبة - إلى النجف قد هدت كذلك المراجع الأخرى. لقد كانت الأحقاد القديمة ساكنة تحت وطأة العنف البعثي، وهناك اتجاهان مختلفين، فيما يخص إيران كذلك، تخلق العداوات بين المراجع الكبيرة، فبينما يعتبر السيستاني قريب من المعتدلين الإيرانيين (الرئيس خاتمي ومن حوله) يعتبر الحكيم قريب من خامنئي (القائد الأعلى) بينما لا يبدو أن الصدر والدعوة تدعمان أحدهما.

### شعبة العراق تحت النظر

بعد سقوط بغداد، رحب معظم الشيعة بحماس بالمحررين الأميركيين، فالمظاهر الجماهيرية الشيعية عبرت بابتهاج عن تمكنها من القيام باحتفالاتها الدينية والمناسبات التي حرّموا منها طويلاً من قبل نظام صدام، وبعد أسبوع إلى عشرة أيام قاد رجال الدين الشيعة في بغداد - وخصوصاً من مدينة صدام التي يسكنها الفقراء الشيعة والبالغ عددهم مليونين - قادوا مظاهرات كبيرة ضد الوجود الأميركي وطلبوا بحكومة إسلامية بدلاً من دكتاتورية البعث، كما سارت مظاهرات متماثلة في النجف. ترى ماذا حدث؟

إن هذه المطالبات بحد ذاتها لا ينبغي أن تثير الاندهاش، هناك دائماً مجموعة إسلامية متصلبة ومتطرفة بين شيعة العراق الذين يتوقع منهم أن يطلبوا تأسيس جمهورية إسلامية والإسحاب الفوري للأمركان، والغريب حقاً إن ذلك جاء بعد تحريرهم مباشرة من قبل قوات التحالف وان هذا الطلب قد جاء من قبل هذا العدد الكبير من المتظاهرين. ويمكن أن يعزى ذلك جزئياً إلى فراغ القوة الذي سببه سقوط نظام صدام قبل أن تتواجد قوات التحالف في أنحاء البلاد. وقد مدّ العديد من رجال الدين يد المساعدة للمستحقين. ولأنهم يسيطرون الآن على عدد كبير من العقارات، فإن العديد من الناس في هذه المناطق يتبعون خط قيادتهم.

ولغاية نيسان الماضي كانت النجف ومدينة صدام تحت تأثير الصدر والدعوة بينما كانت معظم كربلاء تحت تأثير الحكيم والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية.

ومع ذلك فلم ينتصر المتطرفون في كل مكان، فمثلاً كانت كلاً من البصرة والحلة (٧٠ كلم جنوب بغداد تقريباً) كانت تحت تأثير المعتدلين الذين تعاملوا بشكل حسن مع قوات التحالف، وعلى كل حال، وعلى الرغم من عدوانيتهم وعداوتهم للأميركان فإن المعلومات المحدودة المتوفرة تؤكد إن المتظاهرين لم يكونوا يمثلون إلا الأقلية من بين المجتمع الشيعي بل والاقلية ضمن العراق ككل.

في يوم الأربعاء ٢٣ نيسان يحتفلون بذكرى الأربعينية، أربعون يوماً بعد استشهاد واحد من أهم أئمتهم، الحسين بن علي الذي

قتل في سنة ٦٨٠ للميلاد على يد الجيش الأموي في موقع كربلاء اليوم، مئات الآلاف من الناس يفدون على كربلاء لإحياء هذه الذكرى. بعض الناس المتحمسين كثيراً والناذرين يسيرون مشياً على الأقدام لمدة يومين أو ثلاثة من بغداد والنجف ليكونوا هناك في هذا اليوم المهم، وخلال الخمسة والثلاثين سنة الأخيرة من نظام البعث منعت مثل هذه المسيرات الراجلة التي يقطعها الشيعة ليعتقدوا وفق تقاليدهم، ومن الطبيعي أن يستغل بعض الملالي هذه المناسبة للإثارة السياسية ولكن يبدو إن نسبة مئوية قليلة من المشاركين كانوا ضد الأميركيين.

وفي الوقت الحاضر هناك القليل من رجال الدين الشيعة المعتدلين، لا زال في العراق قسم منهم لم يغادروا البلد قط، ويشعر العديد من الشيعة بالقلق من احتمال ظهور نظام إسلامي.. ولا زالت الكفة تدريجياً ترجح لصالح المتطرفين ضمن المجتمع الشيعي ما لم يردعوا بشكل فاعل (كما ناقشنا ذلك).

الآن وقد انقذتهم قوات التحالف من صدام، فإن هناك خطر آخر أيضاً وهو أن يثير رجال الدين المتطرفين الإرهاب ضد القطاعات الأميركية لإجبار قوات التحالف على الخروج وتأسيس أقليمهم بالقوة.

### الدور الإيراني

على الرغم من إن الديمقراطية في العراق قد - على وجه التحديد - تقوي الاغلبية الشيعية العراقية فإن الملالي الذين يحكمون في طهران لهم مخاوفهم الحقيقية من

الحكم الجماعي والمفتوح في العراق وبمشاركة شيعية فاعلة.

أولاً، قد يتخذ العراق مثلاً يحتذى به من قبل الجيل الشاب في إيران والذي أصبح يشعر بالملل واليأس بعد أكثر من ٢٠ سنة في الجمهورية الإسلامية وحكم الملالي ويطمح أن يراهم خارج السلطة، كما تخشى إيران من هذه المرجعية العراقية والمفتوحة في النجف الأشرف وخصوصاً إذا ما كانت تحت تأثير السيستاني المعتدل فتؤثر على حوزة قم في إيران لأن النجف هي قلب الشيعة وسيكون من الصعب على قم أن تنافس المرجعية النجفية، إضافة إلى ذلك فإن الكثير من رجال الدين الشيعة العراقيين يعارضون نظرية آية الله الخميني في ولاية الفقيه (والتي تميز النظرية الإيرانية) لذا فإن وجود نجف تعارض ولاية الفقيه قد تشكلت بشريعة النظام السياسي الإيراني، ونتيجة لذلك فمن المحتمل جداً أن يبذل الحكام الإيرانيون قصارى جهدهم لمنع الديمقراطية من الظهور في العراق وكذلك بالنسبة لتطوير مدرسة نجفية دينية أقوى وأكثر تحراً.

في الحقيقة يبدو إن الإيرانيين يعملون على هذا النحو في الوقت الحاضر فبعد أيام من تحرير أوائل المدن الشيعية (مثل الناصرية) تسلل آلاف الناس معظمهم من جنود المجلس الأعلى للثورة الإسلامية وقبله بدر وحرس الثورة الإيرانية وذلك بناء على توجيهات من طهران.

ويبدو إن سبب رفض حضور الحكيم والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية لإجتماع

المعارضة العراقية في محافظة الناصرية  
برعاية اميركية قد يكون إستجابة لأوامر من  
إيران بعدم الذهاب، لذا يبدو إن طهران  
تعارض أية خطوة ديمقراطية في العراق  
وخصوصاً إذا كانت برعاية الولايات المتحدة  
الاميركية وإن لها خطط بديلة. والاحتمال  
الأخر هو أن الحكيم تجنب الحضور لأنه كان  
يخشى أن يتهم من قبل الصدر وأتباعه بكونه  
عميلاً أميركياً.

إن المصالح الإيرانية هي ذاتها لدى  
الجيل الشاب من رجال الدين الشيعة  
المتطرفين في البصرة منذ الأربعينيات كان  
رجل الدين الشيعي العراقي يعاني من  
صعوبات في أن يجعل من نفسه مصدراً  
للمنافسة والفوز بأتباع، لقد تضاءلت الموارد  
المالية للدورة التعليمية الدينية (الحوزة العلمية)  
في النجف وكربلاء وفي الوقت نفسه بدأ  
التأثير العلماني (بل والشيعوي الإلحادي) يجد  
طريقه في المجتمع الشيعي وخلال ٣٥ سنة  
من حكم البعث كبت كل شيء لدى الشيعة،  
وكتمت أفواه السنة والشيعة معاً، مما جعلهم  
أغراب عن بعض ولذلك إتجه الشباب الشيعة  
باتجاه الهوية الدينية كوسيلة للإحتجاج.

ومع ذلك فقد كانت العملية بطيئة،  
فرجال الدين الشباب المتميزين كانوا غالباً ما  
يحصلون على أتباع والأقل تميزاً غالباً ما  
يبحثون عن البديل وهو التطرف السياسي،  
وبهذه الطريقة يسهل عليهم الفوز بدعم  
جماهيري – مع المخاطرة بالطبع، في إمكانية  
تعرضهم للقتل أو السجن من قبل نظام صدام  
– بعد انتصار التحالف زال تأثير عامل

الضغط صدام، ونتيجة لذلك ظهر فجأة بريق  
الخطب الحماسية وتأثيرها ويبدو أن رجال  
الدين الشباب صاروا يرون في حمى الدين  
ومعاداة الأميركيين فرصتهم المثلى لإستصلاح  
مركزية الدين في حياة مجتمعهم ومركزيتهم  
ضمن المجتمع.

وبهذه الطريقة يستطيعون تأمين  
إستقلال مصادرهم المالية، ومراكزهم  
السياسية – الاجتماعية ومن دون مخاطر  
محددة، ويبدو أنهم ياملون في تخلص العراق  
من الأميركيين وأي تواجد غير إسلامي فيه  
وان تكون لهم اليد الطولى ليس في المجتمع  
الشيعي فحسب بل ضمن العراق ككل...  
وبالتأكيد، فإن هذا الخطاب يشكل خطورة  
للغير كذلك. ليس أقلها أنهم يعرفون أكثر من  
معظم الناس أنهم لا يستطيعون إصلاح  
الأخطار الجسيمة المحدقة بالإقتصاد العراقي  
والبنى التحتية إلا بمساعدة التحالف.

وهم يدركون بالتأكيد أنه إذا ما تخلت  
الولايات المتحدة عن العراق كما يطالبون فلن  
يكون هناك من يمنع حدوث حرب داخلية  
دامية مع احتمال تقسيم العراق. وربما يقع  
المتطرفون تحت السيطرة الإيرانية على الرغم  
من أنهم لا يريدون أن يروا الجزء الجنوبي  
الشيعي – وربما بغداد – منفصلاً عن  
العراق.

#### تحديد تأثير المتطرفين الشيعة

لم توجه لحد الآن أية اعمال عنف ذات  
أهمية من المتطرفين الشيعة ضد التحالف على  
عكس ما حصل في عدد من الحوادث التي  
تورط بها السنة في الأيام الأخيرة. ويعتبر هذا

أمراً مهماً وعلى الولايات المتحدة أن تتأكد من عدم تغييره، لذلك فعلى القيادة المركزية للولايات المتحدة أن توضح بالوسائل الإعلامية المتوفرة إن العنف سيقابل بالعنف وإن الذين يهاجمون قوات التحالف سيتعرضون للقتل، والأمر الثاني هو أن على قيادة التحالف أن تؤكد مراراً وتكراراً أن لا نية للولايات المتحدة في البقاء في العراق لمدة أطول مما يتطلبه العراق للوقوف على قدميه، وتأسيس حكومة ديمقراطية جديدة، وعلى الرغم من ضرورة احتفاظ الولايات المتحدة بالقيادة الشاملة فإن حضوراً دولياً أكبر سيكون مفيداً في اقناع العراقيين أن لا نية للولايات المتحدة في إستعمار البلد.

إن أفضل طريق يحد فيها التحالف من تأثيرات المتطرفين في المجتمع الشيعي هو توفير أفضل ما يستطيعون توفيره وفضح الطبيعة الخادعة لخطبهم المثيرة.

وهذا يعني تقديم جهداً كبيراً لتوفير الخدمات الاجتماعية لكافة العراقيين والتي لا يستطيع رجال الدين المتطرفين الشيعية توفيرها لهم بأنفسهم.

إن معظم تأثير رجال الدين الكبار يتأتى من قدرتهم على تقديم الدعم لبناء المساجد والمدارس والمكتبات والبرامج الاجتماعية، وتوفير الاحتياجات الأساسية للطلاب والعوائل الفقيرة، ينبغي على التحالف مساعدة رجال الدين الشيعة المعتدلين ليقدموا هذه الخدمات بأفضل طريقة ممكنة، وقد تحاول إيران فعل الشيء نفسه بالنسبة للمتعاونين معها غير أن قدرتها كما يبدو محدودة. وعلى هذا الخط

نفسه، ينبغي ان يزيد الدعم الإنساني والفني من التحالف للمدن الواقعة إلى حد كبير تحت تأثير القوى المعتدلة على الدعم المقدم للمدن الواقعة تحت تأثير المتطرفين ووكلاء إيران، وبالتأكيد ينبغي أن تحصل جميع المناطق العراقية على المساعدات الإنسانية المناسبة ولكن هذه المساعدات بطيئة وحيثما كانت هناك مناطق أكثر أمناً بالنسبة للجانبين والعاملين نرى ان هذه المناطق يسيطر عليها المعتدلين وينبغي ان يكونوا في المقدمة، وعلى كل حال، فإن مدناً مثل النجف وكربلاء حيث السلطة العليا للمتشددين هي أماكن خطيرة بالنسبة للجانب والأغراب.. وعلى كل حال وبغية تجنب تشتيت الجهود فينبغي أن تأتي كافة الخدمات والمساعدات الاقتصادية من السلطة المركزية في بغداد كما ينبغي أن يفهم الجميع أنه قد جاءت من هناك.

بالإضافة إلى ذلك، فإن هناك حاجة ماسة لخلق توازن مقابل لرجال الدين الشيعة المتطرفين خارج المجتمعات الشيعية التقليدية. علماً بأنه باستثناء المجلس الأعلى للثورة الإسلامية ذو الميول الإيرانية وحزب الدعوة الأكثر استقلالية ولكنه أكثر تطرفاً فإن معظم الحركات المعارضة للبعث هي علمانية بدرجات مختلفة. وتتضمن الشيعة والسنة والعرب والكردي، حتى من بين مجتمع العرب السنة في العراق وهناك مجموعة صغيرة من الوهابية، ومجموعة صغيرة من الإخوان المسلمين وحتى أصغر منها من حزب التحرير ولكنهم ليسوا قوى رئيسة، وكان هناك تحول محدود في المجتمع السني العربي خلال

المجاميع والمنظمات وبدعم حازم من الولايات المتحدة والمجتمع الدولي ستكون هناك فرصة للعمل لحاجز فاعل ضد الإستبداد الأصولي.

في الوقت الحاضر، مثل هذا الاستبداد له فرصة كبيرة مؤسفة لملء الفراغ الذي تركه سقوط صدام، خلال فترة الـ ٣٥ سنة الأخيرة كان المسجد هو المؤسسة الوحيدة في النظام التي يسمح لها بالعمل بشيء من الحرية، وعلى الرغم من أن البعث يراقب كل خطب الجمعة وتراقب رجال الدين عن كثب لم يكن ليجرؤ على غلق هذه المساجد او خنق رجال الدين جميعاً، لقد قبل رجال الدين السنة تدخل النظام برباطة جأش، أما رجال الدين الشيعة ففي الغالب تجنبوا المواجهة مع النظام ولكنهم بقوا حذرين منه، واليوم يجنون ثمار ذلك، والخطر من رجال الدين الإسلاميين المتطرفين هو أنهم ربما يستطيعون التغلغل إلى الجمهور الشيعي المتعصب لحرية الجديدة، وإذا ما وصلوا إلى السلطة على موجة هذا التعصب فمن المستحيل تحييتهم جانباً بعد ذلك.

وستكون المشكلة في رجال الدين المعتدلين أنهم غير سياسيين ومتحذرين، وليس في نيتهم المواجهة مع المتطرفين.

وحالما نتواجد الكهرياء، فعلى العراقيين مشاهدة التلفزيون والراديو الإيراني بما فيها المقابلات مع الشباب الإيراني حول الأداء الحكومي السيئ للملاي الإيرانيين والإحباط بين جيل الشباب في إيران وربما كان أسوأ ما في أسلوب النظام الديني الإيراني (ولو أنه فعلياً ليس هناك ما يسيطر عليه من طهران)

السنوات الستة أو السبعة بإتجاه التدين، كما كانت هناك، مؤخراً، مظاهرات للسنة السلفيين بعد صلاة الجمعة في الجامع الكبير للإمام الأعظم في بغداد ولكن هذا التحول كان محدوداً كذلك، وهكذا نرى أن مجتمع السنة العرب في العراق لازال علمانياً معتدلاً، وأنه لمن العسير أن نكسب دعمهم لديمقراطية إتحادية يتمثل فيها كل مجتمع من المجتمعات الثلاث الرئيسية (الکرد والسنة العرب والشيعة العرب) في حكومة واحدة مع حماية مصالحهم على الرغم من حقيقة أن الشيعة قد يمثلون الأغلبية.

يكون السنة العرب والسنة الكرد والتركمان والمسيح والأقليات الأخرى في العراق بحدود ٤٠% من السكان، وبتناقهم مع العلمانيين والشيعة المعتدلين فإنهم سيشكلون الأغلبية، العديد من نساء العراق – وهن من بين أكثر النساء في العالم العربي ثقافة وتحرراً – سيرفضون على الأغلب الحكومة الدينية لأنها ستحد من منزلتهم ومن حريتهم، بينما ينبغي تشجيعهم على تأسيس الجمعيات والنوادي والأحزاب والمؤسسات الأخرى وإصدار المطبوعات. شريطة أن لا يكونوا قريبين جداً من النظام البعثي، كما أن شيوخ العشائر في كلاً من المناطق الشيعية والسنية سيكونون مرشحين مناسبين لمثل هذا التحالف العلماني.

كما إن قوة شرطة قوية أمراً مهماً بل هي حاجة ملحة وينبغي أن تضم ضباط برتب حزبية كبيرة في حزب البعث ومن غير المتورطين في أعمال وحشية، وجميع هذه

وما يجب أن يأخذ العراقيون درساً منه هو ما أحدثه نظام الخميني من تدمير للإقتصاد والمجتمع الإيراني.

وأخيراً، فربما كانت الولايات المتحدة والمجتمع الدولي يريدان الاحتفاظ ببعض النفوذ على دورة النمو والتطور السياسى العراقى حتى بعد فترة الإحتلال الأمريكى الحالى.

وأحد طرق تنفيذ ذلك ربما يكون عن طريق تعليق كل العقوبات على العراق والقابلة للتجديد كل ستة أشهر، وبهذه الطريقة توضح الولايات المتحدة بصورة جلية أن الحكومة العراقية الجديدة إذا ما وقعت بنفس الوضع السيئ القديم أو ساء بأسلوب جديد فإنها ستكون عرضة لنفس القيود التى تعرض لها نظام صدام حسين.. وعند النظر إلى التجارب المؤلمة خلال ١٢ سنة الأخيرة فإن القليل من القادة العراقيين يريدون أن يكرروا المرور بتلك الفترة.

حقوق الطبع ٢٠٠٣ مؤسسة التأليف.

ملاحظة : وجهات النظر هذه تخص كاتبها ولا علاقة لها بالموظفين والكادر التابع للمؤسسة.

The Brookings Institution,  
1775 Massachusetts Ave NW,  
Washington DC 20036  
Telephone : (202) 797 -6004  
E-mail : Brookings or Comments this Site